الخواتم الثلاثة

أو

الديانات الثلاث

قطعة مختارة من الادب الغربي

لا تبدأوني بالعداوة منكم

فسيحكم عندي نظير محمد

« أبو العلاء »

صلاح الدين الايوبي

احرز « صلاح الدين » شهرة عظيمة ، اكتسبها بما قام به من جلائل الاعمال فقد كان شهما يقظ الفؤاد ، فرفعته مواهبه ومزاياه النادرة ، الى ارفع مكانة — لا عند المصريين وأبناء الشرق وحدهم ، بل عند سواهم من الامم الغربية أيضاً

لقد ذاعت فتوحاته واشتهرت انتصاراته الباهرة التي أحرزها في الشرق والغرب ، فقد فاز على مسيحيي أوربا فوزاً مبيناً في غزواته التي اشتبك فيها معهم !

كان هذا الامير دائب الغزو ، كثير الحروب ، لا يكاد يمر به وقت قصير دون أن يشتبك في حرب طاحنة .

ولما كان — قبل كل شيء — كريماً بطبعه ، وكان ملجأ يؤمه القاصدون وذلك يضطره الى الانفاق عن سعة ، نظر ذات يوم الى خزائنه فرآها خالية ، وعن له من الامور الفجائية الهامة ما يضطره الى الحصول على مقدار وفير من المال ، فاهتم لذلك كثيراً ، اذ لم يجد وسيلة تمكنه من الوصول الى غرضه ، للتغلب على تلك الضرورة الفجائية

ولكنه علم أن في مدينة الاسكندرية يهوديا مثريا ، اسمه « ملكي صادق » وانه يقرض الناس بالربا ، ففكر في توريطه للحصول منه على اربه ، ولم يلبث أن انقلب تفكيره الى عزم

وكان ذلك اليهودي أشد أهل زمانه بخلا وشرها الى المال ، ولم يكن من السهل الحصول منه على ما يريد ، وصلاح الدين لا يريد أن يلجأ معه الى طريق العنف والارغام للحصول منه على مأربه ، لذلك ظل يبحث عن حيلة معقولة يبرر بها غرضه !

لقد ألجأته الضرورة الى المال ، ولكنه على يقين من أن « ملكي صادق » لن يسمح باخراج المال الذي يريده طوعا وبمحض اختياره ومن قرر أن يحصل منه على ذلك بطريق يبررها الناس ولو في الظاهر ، ثم أرسل في استدعائه ، فلما مثل بين يديه ، تلقاه في قصره هاشا باشا مرحبا به ، واجلسه الى جانبه ، ثم دار بينهما الحوار التالي :

لقد بلغني عنك يا « ملكي صادق » من عدة أشخاص انك على أعظم جانب من الحكمة والعلم ، وانك شديد التعمق في الغيبيات والالهيات !

فخبرني اذن عن رأيك في اليهودية والاسلام والمسيحية ، وأي هذه الديانات الثلاث الفضل عن الاخرى وتعتقد انها الحق ؟»

...

كان اليهودي على جانب كبير من الذكاء والحزم ، فادرك أن السلطان قد نصب له بهذا السؤال فخا يحاول ايقاعه فيه ، وكان بلا شك واقعا في احبولته لو أنه تصدى لتفضيل احدى هذه الديانات الثلاث على الاخريين !

ولكنه لحسن حظه لم يرتبك في الامر ، ولا غم عليه طريق الخلاص من هذا المأزق ، فقد عنت له فكرة فذة ، فقال للامير — حاضر الذهن ، لا يبدو عليه شيء من مظاهر الاضطراب : —

« مولاي

ان السؤال الذي تفضلتم بتوجيهه الي ، سؤال كريم ، وهو أيضا غاية في الخطورة ولكني اريد ان أتحرى الدقة التامة في الاجابة عليه ، فهل تسمح لي ان امهد لذلك بحكاية قصيرة :

...

اذكر انني كثيرا ما سمعت ، بانه كان — لا أدري في أي بلد من البلدان — رجل غني واسع النفوذ والجاه ، وكان من بين حلاه وجواهره الثمينة خاتم بديع الصنع لا يقدر له ثمن

أراد هذا الرجل أن يكافيء بهذه التحفة النادرة أجدر أولاده الذكور بها ، فأوصى ألا تعطى بعد موته الا لمن يستحقها عن جدارة ، وأوصى أن من يعطى هذا الخاتم يصبح سيد الاسرة من بعده !

وترسم وريثه نهج أبيه ، فورث الخاتم أجدر أبنائه به وجاء من بعده فسلك طريقه !

وهكذا ظل الخاتم ينتقل من يد الى يد ، حتى وقع أخيراً في يد رجل له أولاد ثلاثة ، كلهم مهذب كامل وكلهم موموق من أبيه ، لا يخالفون له رأيا ولا يردون له قولا وكان لذلك يكن لهم أعظم الحب ، ولا يستطيع أن يفضل واحداً منهم على الآخرين

وكانوا على علم بما يتطلبه احراز الخاتم من المزايا الباهرة ، فتسابقوا جميعاً في ارضاء أبيهم بكل وسيلة أثناء شيخوخته ، فلم يألوا جهداً في تلبية كل أوامره ، وانجاز كل اشاراته ، وفق ما يشتهي . وظل كل منهم متفانيا في ارضائه طمعا في احراز الخاتم بعد موته !

سر الوالد من أبنائه الثلاثة ووصل اعجابه وفرحه بهم الى أقصى حد ، ولكنه حار في تفضيل أحدهم على الآخرين ، واعمل جهده فلم يصل الى نتيجة ما ، ثم أدته حيرته أخيراً ، الى أن وعد أبناءه الثلاثة سراً كلا بدوره على حدة ، باعطاء الخاتم اليه بعد أن أوصاه بان يكتم ذلك الخبر عن أخويه . وانما دفعه الى ذلك رغبته في ارضائهم جميعا

على أنه لم يلبث ان هداه حبه ايام الى وسيلة تخرجه من هـذا المأزق ! فارسل سراً ، الى صائغ مشهود له بالحذق والتفوق ؛ فصنع له خاتمين متقني الصنع ! على مثال خاتمه الاول لا يستطيع من يراهما أن يجد فيهما أي فرق ! حتى لقد بلغ من أحكامهما أن التاجر نفسه لم يعد يستطيع أن يميز خاتمه من بينهما

ثم أعطى كلا منهم خاتماً ! ومات أبوهم !

فنشبت منازعة عنيفة بين ابنائه الثلاثة ، كل منهم يعتقد أنه صاحب الخاتم الحقيقي ، وانه على ذلك جدير ان يكون خليفة أبيه ، فمن ان يرثه في لقبه وشرفه كل منهم واثق الثقة كلها أنه انما يطالب بحق لا يصح ان ينازعه فيه احد ، وانه دون اخويه وريث ابيه الشرعي ، وان دعوى اخويه زائفة جديرة بالرفض والازدراء !

حاول كل منهم أن يستعين بخاتمه ليتمكن من تأييد دعواه ، ولكنهم وجدوا الخواتم الثلاثة محكمة الشبه ، لا سبيل الى تمييز الخاتم الحقيقي من بينها

تحاكموا الى من يفصل بينهم في دعواهم ، ولكن القضية عويصة الحل ، والفصل فيها مستحيل ، لعدم استطاعة التمييز بين تلك الخواتم المحكمة الصنع ، ومن ثم ظلت قضيتهم معلقة لا تحل ، واستمرت كذلك الى النهاية ؟ »

مولاى !

ذلك مثل الشرائع الثلاث التي انزلها الله على اهل تلك الاديان الثلاثة التي تفضلت فسألتني عنها

كل فريق يحسب انه وحده خليفة الله في أرضه ، وكل منهم يعتقد ان قانونه هو الشرعي الحق وأن صراطه هو وحده الصراط القويم !

تريد ان تعلم اي الأديان الثلاثة أفضل وأحق أن يتبع ، هذا ما يزال الى الآن عقدة العقد ! وسيظل فيما بعد ، كما هو الآن ـ نقطة غامضة لا يهتدي الى حلها أحد كل يحكم بظاهر ما يبدو له ! »

رأى صلاح الدين ان اليهودي قد تخلص بهذا الجواب المملوء فطنة وحذقا ، من الاحبولة التي نصبها له ، وعرف أن من العبث الاحتيال على ايقاعه مادام على هذا الجانب من الحكمة وسرعة الخاطر ، فلم ير بدا من الافضاء اليه بحقيقة الأمر ،

واظهار حاجته الى المال ورغبته في الاستدانة منه بعد ان كاشفه بما كان يضمره له لو أنه زل في قوله أو أجاب بغير ما أجاب به

وهنا تأثرت نفس اليهودي بهذه السماحة التي تجلت في صلاح الدين ، فلم يتردد في اقراضه توا كل ماطلبه من المال ، وعرف له السلطان هذه الاريحية فلم ينسها له ، ولم يكتف برد ماله اليه فيما بعد ، بل أتبعه هداياوتحفا ، وقربه من مجلسه ، ورفع مكانته وأحسن معاملته مدة حياته

أحق الناس بالمقت الفقير المختال ، والضعيف الصوال ، والغني القوال

الدوسي

المعروف خصال ثلاث : تعجيله وتيسيره وتستيره الامام علي

اعلم ان الرعية اذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل فاجتهد أن لا تقول تسلم من أن تفعل ارسطو

السياسة : هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها عبد الملك

شاعر يهجو أخاه

من أبلغ ماقرأنا في هجاء الاخ قول بعض الشعراء يذم أخاه وكان اسمه عبد الصمد

قال لي أنت أخو الكلب وفي ظنه أن قد هجاني واجتهد

أحمد الله تعالى أنه مادرى اني أخو عبد الصمد

قال البهاء زهير متغزلا

من لي بقلب أشتريـ ـه من القلوب القاسيه

أنعم علي بقبلة هية ، والا عاريه

وأزدها لك لا عصمـ ـت بعينها وكما هيه

واذا أردت زيادة خبرها ونفسي راضيه